حاسة السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث

www.eajaz.org

د.محمود محمد الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

اهتم القرآن الكريم كثيرا بالسمع وقدمه على باقي الحواس وامتن به على الإنسان وفيما يلي بعض مظاهر الاهتمام وملامح الإعجاز في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

معنى السمع في القرآن الكريم:

تتضمن كلمة السمع في القرآن مدى واسعا من المعاني كما يلي:

١. الإحساس المجرد بالصوت بلا فهم كقوله تعالى:

{وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾}[1]

٢. الإحساس بالصوت مع الفهم كما في قوله جل وعلا:

{أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾}[2]

www.eajaz.org

٣. الإحساس بالصوت مع الفهم بالإضافة إلى الاقتناع والإيمان والطاعة:

{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾}[٣]

{وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾}[٤]

وهذه المعاني الثلاثة لكلمة السمع تتوافق مع ما هو معروف في علم وظائف الأعضاء من مراحل التعرف على الصوت والتي تتضمن الإحساس ***sound perception*** والتمييز ***sound discrimination*** ثم الوظائف العليا الأخرى للمخ والتي تتضمن العواطف والإرادة و التصرفات.

كما فرق القرآن الكريم بين السمع والاستماع والإنصات فالسماع قد يكون بقصد أو بدون قصد أما الاستماع فهو قصد السماع بغية فهم المسموع أو الاستفادة منه وأما الإنصات فهو السكوت والسكون وترك الأشغال بقصد الاستماع. قال تعالى:

{وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾}[٥]

www.eajaz.org

السمع في الآخرة

يعد سماع التسليم والتحية من أفضل نعيم المؤمنين كقول الله تعالى.

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾}[٦]

و كما في قول النبي ﷺ عن نعيم أهل الجنة فيما يرويه عن ربه عز وجل:

" أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ"

{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ }[٧]

بينما يعد الحرمان من السمع من أنواع العذاب المعدة للكافرين كما في قول الله تعالى:

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ }[٨]

أهمية السمع

ذكر القرآن الكريم وسائل العلم والمعرفة فجعل في مقدمتها السمع ثم البصر ثم العقل

{وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ }[٩]

وقد ورد ذكر كلمة سمع ومشتقاتها مائة وخمسة وثمانون مرة في القرآن الكريم.

وقد تكرر تقديم السمع على البصر في جميع الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان، بل اكتفت بعض الآيات بذكر السمع والعقل عند الحديث عن وسائل الهداية مثل قوله تعالى:

{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾}[١٠]

واكتفى البعض الآخر من الآيات بذكر السمع فقط كقوله جل وعلا:

{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾}[١١]

وقد امتن الله تبارك وتعالى على عباده بنعمة السمع بعد نعمة الخلق لعله يشكر نعمة ربه ولا يكفرها

{قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾}[١٢]

وهذا التقديم لذكر السمع على بقية الحواس له دلالته ولا شك في كتاب الله، وقد كان النبي ﷺ يقدم ما قدم الله ذكره في كتابه فبدأ في سعيه بين الصفا والمروة بالصفا قائلا "أبدأ بما بدأ الله به"[١٣].

ولعل تقديم ذكر السمع على البصر لكونه أهم منه في عملية التعلم وكم رأينا من كفيف وصل إلى أعلى مراتب العلم أما من ولد أصم لا يسمع فإنه لا يتعلم الكلام ومن ثم لا يكاد يتعلم شيئا يذكر.

ومن أجل أهمية السمع كان النبي ﷺ يدعو بالمعافاة في بدنه وسمعه وبصره عند نومه واستيقاظه فعن عبد الرحمن بن أُبَيّ أنه قال لأبيه: "يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة: ا للهم عافني في بدني، ا للهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت، تعيدها ثلاثا حين تصبح وثلاثا حين تمسى فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن، فأنا أحب أن أستن بسنته[١٤]

كذلك كان من دعائه ﷺ "اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا،و اجعله الوارث منا"[١٥].

ومع كون المعافاة في البدن تتضمن المعافاة في السمع والبصر إلا أن تخصيص السمع والبصر بالذكر بعد التعميم يدل على الأهمية الزائدة لهاتين الحاستين.

و لعلنا نفهم من قوله ﷺ "و اجعله الوارث منا" إشارة إلى أن بعض الناس يصابون بضعف السمع نتيجة التقدم في السن الأمر الذي أشار إليه قوله تعالى:

{وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾}[16]

والمعروف علميا أنه يحدث ضعف سمع عصبي مضطرد متماثل في كلتي الأذنين في بعض الناس فوق سن ٦٠ سنة، وهذا الضعف يحدث في أكثر من ثلث البشر فوق ٧٥ سنة.

ولذلك دعا النبي ﷺ الله أن يحفظ عليه سمعه وبصره ويمتعه بهما حتى يكون هو الوارث منه أي ألا يفقد حواسه قبل موته بل يموت وهو مكتمل لجميع الحواس.

نشأة حاسة السمع وتطورها

أما من حيث مراحل النشأة والتكوين فمن المعلوم أن أول حاسة من حواس الإنسان تبدأ و تكتمل في التكون هي حاسة السمع[17] حيث يحدثنا علم الأجنة أن بداية تخلق الأذن الداخلية يكون في اليوم الثاني والعشرين من عمر الجنين بينما يكون طوله ١,٥ إلى ٢ ملليمتر فقط وتستمر هذه في النمو حتى تصل إلى كمالها وحجمها النهائي كما هو عند البالغين في منتصف فترة الحمل تقريبا وذلك في الأسبوع ٢٠-٢٢[18] وبذلك تكون الحاسة الأولى في ابتداء الخلق وفي كمال الخلق.

أما عن كيفية الخلق ففي صحيح مسلم عن علي ﷺ أن النبي ﷺ كان إِذَا سَجَدَ قَالَ: "اللّهُمّ لَكَ سَجَدْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلّذِي خَلَقَهُ وَصَوّرَهُ، وَشَقّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ. تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"[19]

وفي رواية الإمام أحمد "اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدتُ وَبِكَ آمَنتُ وَلَكَ أَسلَمتُ ، سَجَدَ وَجهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ فَصَوَّرَهُ فَأَحسَنَ صُوَرَهُ فَشَقَّ سَمعَهُ وَبَصَرَهُ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحسَنُ الخَالِقِينَ"

وليس هناك ما هو أبلغ وأخصر من هذه الكلمة (شقّ) في وصف تخلق الأذن بجميع أقسامها الداخلية والوسطى والخارجية حيث يبدأ الأمر بتكوين صحيفة ثخينة من الأديم الظاهر –الصحيفة السمعية– (*Otic placode*) ما تلبث أن تغطس تحت السطح لتكون الحويصلة الأذنية التي تفقد اتصالها بالسطح لتتمدد وتتشكل على هيئة الأذن الداخلية ثم تتم إحاطة هذه الأذن الغشائية بغلاف غضروفي من اللحمة المتوسطة في الأسبوع الثامن عشر وينمو هذا ويتحول إلى عظام حتى يصل إلى حجمه الطبيعي عند البالغين في نهاية الأسبوع الواحد والعشرين. ومن ثم تبدو الأذن الداخلية في النهاية كمجموعة من الشقوق المحفورة بإحكام وعناية في العظم الصخري (*Petrous bone*) .

أما الأذن الوسطى فتبدأ بامتداد من الردب النفيري الطبلي (*Tubotympanic recess*) في قاع البلعوم، ويتمدد هذا الشق مكونا بذلك قناة النفير (*Eustachian tube*) ثم تتفلطح نهايته حول عظيمات الأذن الوسطى مكونة تجويف الأذن الوسطى.

وأما الأذن الخارجية فهي تتطور من الأخدود البلعومي الأول (*First pharyngeal groove*) وتتعمق بتكاثر الأديم الظاهر (*ectodermal plug*) وهذه الكتلة الخلوية تنفتح على هيئة شق لتكون تجويف قناة الأذن الخارجية ويلتقي هذا الشق الخارجي مع الشق الداخلي و يفصل بينهما غشاء الطبلة.

ومن هنا يكون عالم الأجنة عالما صاخبا يسمع فيه الجنين دقات قلب أمه وسريان الدم في عروقها ومرور الطعام في أمعائها ويتعرف على صوتها بل يتعرف على الأصوات الخارجية وإذا تعودت الأم سماع القرآن الكريم أثناء فترة حملها فإن ابنها يستكين وينصت لسماعه بعد ولادته. وقد أمكن تسجيل الإشارات العصبية السمعية المتولدة في الأذن الداخلية والعصب السمعي والمنطقة السمعية في مخ الجنين بآلات التسجيل المخبرية. بل اكتشف العلماء حديثا أن الجنين في بطن أمه يستجيب للموجات فوق الصوتية إذا تعرضت الأم لهذا الفحص أثناء فترة الحمل وذلك بزيادة حركته.

وكذلك تنمو المنطقة السمعية المخية وتتطور وتتكامل وظائفها قبل مثيلتها البصرية: لذلك يكون التعلم في المرحلة الأولى من حياة الطفل معتمدا على المعلومات المسموعة فهو يفهم الكلام الذي يسمعه ويدركه ويعيه ثم يحاكيه فيتعلم الكلام في وقت مبكر جدا بالنسبة لتعلمه القراءة والكتابة.(٢٠)

الأذان في أذن المولود ودلالته العلمية:

ولكـــون الأذن تكـــون مكتملة التكوين عند الولادة فقد كان من سنة النبي ﷺ أن يؤذن في أذن الوليد عند ولادته فعن أبي رافـــع قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أَذَّنَ فِي أُذُنِ الحسن بن على حين ولدته فاطمة رضي الله عنها.[٢١]

يقول ابن القيم رحمه الله: وسر التأذين– والله أعلم–: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنســـــان كلماتـــه المتضمنة لكبرياء الرب و عظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكـــان ذلك كالتلقين لـــه شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها[٢٢]، والملفت للنظر في هذا الحديث أمران:

الأول هو التبكير في تلقين الوليد الأذان الذي هو نشيد المؤمن. أليس الوقت مبكرا جدا لهـــذا التعليم!!!

يولد الطفل بأقل من ثلث قدرة المخ التي يمتلكها الكبير ويعتمد نمو ونضوج الجهاز العصـــبي في ٧٥ % على البرمجة الجينية التي نخلق بها ويبقى ٢٥ % من هذا النضج يعتمد علـــى الخـــبرات المكتسبة بالتعلم ولذلك ينصح العلماء بإحاطة الوليد ببيئة غنية بالمؤثرات بداية من الولادة حتى سن السادسة، ففي هـــذه الفترة يمكن تعديل الخلايا العصبية تركيبيا ووظيفيا اعتمادا على عمرها و كيفية استخدامها.

ومن المعروف أن المـــخ يتكون من شبكة من الخلايا العصبية. هذه الخلايا تكون فيما بينها شـــبكة مـــن الاتصالات، وفى كل مرة يتم تنبيه المخ تتكـــون صلات جديدة بين الخلايـــا وكلمـــا زادت الصلات زاد التكامل بين الخلايا وهذا يحدد ويؤثر في الذكاء والمهارات الاجتماعية والعاطفية.

وقد بدأت الدراسات الحديثة تركز على البداية المبكرة جدا في تعليم الطفل حتى قبل ولادته في بعض الدراسات. إذن هذا هو الوقت المناسب. وأي شيء هو أهم وأولى من الأذان ليكون أولي مؤثر يدخل هذا الرأس الصغير يقول ابن القيم رحمه الله: " وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر به، مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فليسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

وفيه معنى آخر:
وهو أن تكون في دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر عليها سابقة على تخيير الشيطان لها ونقله عنها، وغير ذلك من الحكم.

والأمر الآخر اللافت للنظر في الحديث هو أنه ﷺ أذن في أذن الوليد!!! لماذا لم يؤذن في المكان الذي يوجد به الوليد فيسمعه كما يسمعه الآخرون؟!!

والجواب أنه ومع أن أذن الوليد الآن هي مكتملة النمو إلا أن الجنين في بطن أمه يكون مغمورا في سائل السلى (*Amniotic fluid*) وهذا السائل يوجد في كل تجاويف جسمه، بما في ذلك الأذن الوسطى والخارجية مما يؤدى إلى حالة مشابهة للحالة المعروفة بالتهاب الأذن الوسطى الإفرازي والتي تمتلئ فيها الأذن الوسطى بإفرازات مخاطية تؤدى إلى ضعف سمع توصيلي يقدر بحوالي ٢٠– ٤٠ ديسيبل ويحتاج الأمر إلى بضعة أيام لتتخلص الأذن من هذه الإفرازات، فيصبح حاد السمع بعد أيام قلائل من ولادته. لذلك فلو أذن المؤذن بعيدا عن أذن الوليد ربما لم يسمعه جيدا فيفقد الأمر معناه.

حاسة السمع أثناء النوم:

تبقى حاسة السمع تعمل أثناء النوم. وقد دلت الدراسات أن الصوت الأعلى من ٣٥ ديسيبل[٢٣] يمكن أن يوقظ النائم وحتى لو لم يستيقظ النائم بالصوت فإن نشاط المخ الكهربائي يظهر تغييرا في موجات ألفا.

وهناك عوامل أخرى كثيرة تؤثر في إيقاظ النائم خلاف الضوضاء منها الحافز والعمر والجنس و وقت دورة النوم ومعنى الصوت نفسه مثل بكاء الطفل أو رنين الجرس[٢٤].

وهذا يعني أن هناك مستوى من مستويات الوعي يظل موجودا في النوم حيث يتم تفسير الصوت و يستيقظ النائم أو لا يستيقظ تبعا لأهمية المعنى المسموع.

لذلك لما طعن أمير المؤمنين سيدنا عمرﷺ غشي عليه فقال بعضهم لبعض إنكم لن تزعجوه بشيء مثل الصلاة فنودي: الصلاة الصلاة" فأفاق رضي الله عنه وقال: هاه هاه الصلاة!!! لاحَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة فصلىﷺ وجرحه يثعب دما[٢٥]. وهذا دليل على أهمية الصلاة عند الصحابة ﷺ وعلى أن عمرﷺ أفاق من غشيته لما نودي بالصلاة مما يد ل على أن الأذن تظل تعمل أثناء النوم و الغيبوبة و أن المخ يتأثر بالمعنى الذي يسمعه فيستيقظ من النوم أو يفيق من الغيبوبة حسب أهمية المعنى المسموع.

لذلك حين أراد الله تبارك وتعالى أن يجعل أصحاب الكهف ينامون ثلاثمائة وتسع سنين ضرب على آذانهم كيلا يستيقظوا.

{فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾}[٢٦]

أثر الضوضاء على الأذن والبدن:

من أدب الحديث خفض الصوت كما في قوله تعالى

{وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ ..... ﴿١٩﴾}[٢٧]

وربما كان في هذا إشارة إلى الأثر الضار لرفع الصوت على الأذن.

وفي آية أخرى يسمى الله تعالى يوم القيامة بالصاخة حيث قال تعالى:

{فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾}[٢٨]

وهذه الكلمة ذات الحروف الأربعة تدل على أربعة معان: الأول على يوم القيامة عن ابن عباس قال: الصاخة من أسماء يوم القيامة. والثاني كون يوم القيامة يبدأ بصوت والثالث كون هذا الصوت مرتفعا والأخير هو أثر هذا الصوت في أذن من يسمعه وأنه يذهب بسمعة قال القرطبي: و الصاخة: الصيحة التي تكون عنها القيامة، وهي النفخة الثانية، تصخ الأسماع: أي تصمها فلا تسمع إلا ما يدعى به للأحياء. قال الخليل: الصاخة: صيحة تصخ الآذان صخا أي تصمها بشدة وقعتها. و أصل الكلمة في اللغة: الصك الشديد.

وربما كانت هذه الآية أول ما عرفه الإنسان عن أثر الضوضاء في الذهاب بسمع الإنسان.

والمعروف أن التعرض للضوضاء يؤدي إلى التعود (*Adaptation*) ثم إذا زاد التعرض في المدة أو الشدة حدث ضعف مؤقت في السمع (*Temporary threshold shifts*) فإن زاد أكثر أدى إلى ضعف مستديم في السمع (*Permanent threshold shifts*).

ومن الناحية التشريحية فإن التعرض للضوضاء يؤدي إلى فقد بعض الخلايا الشعرية المسئولة عن السمع في الأذن الداخلية وتغيرات في الإمداد الدموي للقوقعة بالأذن الداخلية[٢٩].

الإهلاك بالصيحة:

المعروف أن الصوت ما هو إلا شكل من أشكال الطاقة فهو عبارة عن تضاغطات وتخلخلات في الهواء وتستجيب الأذن الطبيعية للصوت طالما كان في مدى معين من الترددات (من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية) و مدى معين من شدة الصوت (من-١٠ حتى ١١٠ ديسيبل) فإذا خرج الصوت عن المدى السمعي للأذن فإنها قد لا تدركه إذا كان في غير الترددات التي تدركها الأذن البشرية وهي المعروفة بالموجات فوق الصوتية أو كان خافتا جدا أو تتضرر منه إذا كان عاليا جدا فتصاب بضعف سمع عصبي كما أن الضوضاء لها تأثيرات على أجهزة الجسم الأخرى مثل الجهاز العصبي فيصاب الإنسان بالإجهاد والضيق والتوتر العصبي وعدم التركيز ويؤثر على القلب والجهاز الدوري فيصاب الإنسان بسرعة النبض وارتفاع ضغط الدم وتتزايد هذه التأثيرات بتزايد شدة الصوت ومدة التعرض له حتى تصل إلى ذروتها في الانفجارات المصاحبة للقنابل الكبيرة حيث يؤدى الصوت الشديد إلى معظم الإصابات وذلك لما يطلقه من طاقة عظيمة جدا في وقت قصير جدا يتبدد جزء من هذه الطاقة على صورة حرارة عالية جدا يمكن أن تصل إلى ٤٠٠ درجة مئوية والجزء الآخر يطلق على هيئة زيادة في الضغط يمكن أن يصل إلى بضع مئات من الضغط الجوي، حتى إن هذا الضغط الشديد والمنتشر خلال الأرض يمكنه أن يحدث رجفة مشابهة للزلازل ذات المدة القصيرة ومن هنا عبر القرآن العظيم هنا تارة بالصيحة وتارة بالرجفة، هذه الطاقة الهائلة يمكن أن تدمر الأعضاء الرئيسية والأوعية الدموية وإلى انفجار في الرئتين يصاحبه توقف للقلب والدورة الدموية مما يؤدي إلى وفاة الإنسان والقرآن الكريم قد سبق كل المعارف البشرية – حين قرر إهلاك بعض الأمم بالصيحة كما في قوله تعالى:

{ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ }[٣٠]

والمتأمل في الآيات التي ذكرت هلاك بعض الأقوام بالصيحة يعجب من دقة الوصف لوسيلة العذاب ولأثرها على المعذبين.

أذن الخير ﷺ:

ويبقى الشرف العظيم للأذن حين وصف الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بأذن الخير عندما أراد المنافقون أن يؤذوا رسول الله ﷺ فقالوا عنه: هو أذن أي سماع لكل قول يجوز عليه الكذب والخداع ولا يفطن إلى غش القول وزوره، من حلف له صدقه ومن دس عليه قولا قبله فأخذ الله كلامهم ليجعل منه ردا عليهم:

{وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾}[٣١]

نعم هو أذن الخير للناس يستمع إلى الوحي ثم يبلغه لكم وفيه خيركم وصلاحكم، وأذن خير يستمع إليكم في أدب ولا يجبهكم بنفاقكم ولا يرميكم بخداعكم ولا يأخذكم بريائكم.

يؤمن بالله فيصدق كل ما يخبره به ويؤمن للمؤمنين فيطمئن إليهم ويثق بهم، لأنه يعلم منهم صدق الإيمان الذي يعصمهم من الكذب والالتواء والرياء ورحمة للذين آمنوا منكم يأخذ بيدهم إلى الخير ويبعدهم عن الشر والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وهي غيرة من الله على رسوله ﷺ أن يؤذى[٣٢].

الهوامش

١ (سورة البقرة ١٧١)

٢ (سورة البقرة ٧٥)

٣ (سورة الأنعام ٣٦)

٤ (سورة الروم ٥٣)

٥ سورة الأعراف ٢٠٤

٦ (سورة الواقعة ٢٥-٢٦)

٧ (متفق عليه)

٨ (سورة الأنبياء ١٠٠)

٩ (سورة النحل ٧٨)

١٠ (سورة الفرقان ٤٤)

١١ (سورة الأنعام ٣٦)

١٢ (سورة الملك ٢٣)

١٣ (أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر ﷺ)

١٤ (رواه أبو داود والحاكم في المستدرك وصححه السيوطي.)

١٥ (رواه الترمذي وقال حديث حسن)

١٦ (سورة يس ٦٨)

١٧ (Wright 1997)

١٨ (Moore 1988)

١٩ (أخرجه مسلم في صحيحه عن علي ﷺ وأحمد وأصحاب السنن.)

٢٠ (ا.د. صادق الهلالي مقال بعنوان "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد" مجلة الإعجاز العلمي العدد ٩ ص ٦)

www.eajaz.org

٢١ (رواه أبو داود و الترمذي و قال حديث صحيح)

٢٢ (ابن القيم تحفة المودود بأحكام المولود ص ٣٨ ط المكتبة العصرية)

٢٣ (وحدة شدة قياس الصوت)

٢٤ (Cantrell 1975)

٢٥ (صحيح رواه مالك في الموطأ ورواه عبد الرزاق عن المسور بن مخرمة ورواه المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة.)

٢٦ (سورة الكهف ١١)

٢٧ (سورة لقمان ١٩)

٢٨ (سورة عبس ٣٣)

٢٩ (Alberti 1987)

٣٠ (سورة يس ٢٩)

٣١ (سورة التوبة ٦١)

٣٢ (سيد قطب في ظلال القرآن ج٣ ص ١٦٧٠ ط دار الشروق.)

www.eajaz.org